

بمناسبة سد النهضة.. جناية كهنة الدولة والدين



سعد القرش
روائي مصري

أن يصل التهديد إلى مياه النيل فهو أكبر خطر على مصر منذ فجر التاريخ، وإلى جواره تهون أي كارثة، ولو كانت استعماراً عابراً، أو هزيمة في معركة، ما دام النهر يجري. وأمام هذه الأزمة الكبرى يشغلنا كهنة الدين، وصيابعهم من مشاريع الكهنة، بمعارك جانبية في فنون الإلهام، عنوانها حرب البكيني والبوركنيني في شواطئ قرى سياحية يسمع عنها الشعب ولا يحلم برؤيتها، فيسبغون هلالاً غير البسطاء على دينهم. وفي الوقت نفسه يطعننا، بسداجة، كهنة الدولة على مستقبل المياه، من دون أن يقدموا دليلاً مقنعاً يرد على صلف إثيوبي رسمي يقول إن نهر النيل صار بحيرة إثيوبية. أزمنا هي ابتداء أصنام، وبعث الروح في أصنام قديمة، ولا تنصّب أصنام لكي توضع في مغارات أو مخازن سرية، وإنما لتحظى بالتقديس. فليس الشعب المُرِق بالاستبداد والمحاصر بأزمات اقتصادية وضعف الرعاية الصحية مهموماً بمن تسبب، في مكان مغلق، بالمياه أو غيره. ولكن الكهنة وصيابعهم يوجون إلى جمهورهم بأن ربي البحر مقدم على أركان الإسلام الخمسة، فترتكب الأولويات. كما يجيد كهنة الدولة ربح القلوب، فتعجز خرائط المنافع والمخاطر، وفي هذا الترتيب يتراجع خطر إسرائيل، عدونا الصريح، الأول

صنم احتكار الوطنية وصنم التدين. أكر: التدين لا الدين؛ فالدين من الله ولا يملك أحد تغييره أو تحريفه أو الإضافة إليه، وأما التدين فهو سلوك بشري. ويكون المواطن أكثر انتماء وإنسانية كلما اغتنت نفسه بالله، واطمان بالإيمان الذي محله القلب، وليس بالتدين سلوك ظاهري يحتمل شبهة النفاق الاجتماعي. وكلما اختل سلوكه، زاد حرصه على مظاهر التدين. فهل يكون اختلال الأداء السياسي وفساده سبباً للظواهر بالوطنية؟

الأزهر إلى خلفاء عمر عبدالرحمن وعبدالرحمن البر، أو تولاه يوسف القرضاوي التخصم بشروع أربوغان، بل يراه جديراً بقيادة الأمة الإسلامية؛ الوصاية الوطنية لا تعترف بنضج الشعب، فتسارع إلى مصادرة حقوقه في الاجتهاد والنقاش والمحاسبة. كما تحتكر الوصاية الدينية حقوق الاجتهاد في علوم الدين، وتتجاهل حقيقة أن الدين إلهي ومطلق، وأن الاجتهاد بشري ونسبي. العلاقة عكسية بين ارتقاء الوعي والانزياح الذاتي لهذين الصنمين.

من أن يحتكره الكهنة، ولكن دستور 2014 لم يفتح للإبقاء على المادة الثمانية العنصرية، وإنما أضاف المادة السابعة، وبها يبدأ الباب الخاص بالمقومات الأساسية للمجتمع، وتقول "الأزهر الشريف هيئة إسلامية مستقلة، يختص دون غيره بالقيام على كافة شؤونه، وهو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشؤون الإسلامية، ويتولى مسؤولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية في مصر والعالم. وشيخ الأزهر غير قابل للعزل..". فإذا لو انتهى أمر

الاستراتيجي، ويمحو محرك البحث غوغل اسم فلسطين من خرائطه، ونحن نخوض معارك أخرى يقرها "الصنم الجديد"، وهو وصف منح نيئته للدولة. في كتابه "هكذا تكلم زرادشت" يقول نيئته: "الدولة تعني أكثر الغيلان الفظيلة... كذبا باردا يكذب هذا الغول.. الدولة تكذب على كل لسان للشتر والمخير؛ وبأي كلام نطقت فهي تكذب. وكل ما في يدها، إنما هو مما سرقته. مزيف كل شيء لديها؛ بأسنان مسروقة تعض، هي الشرسة العقور. مزيفة حتى أحشأؤها". ولم يقدم نيئته تصورا لإنسان ما بعد الدولة. أكاد الآن أرفع شعار "ليس باسمنا"، ولكنني لا أدعي الكلام بلسان أي أحد، فاكتفي بقول "ليس باسمي.."، وأحار في إكمال القائمة المفتوحة على أخطار محتلمة، ويسهل اختيار قضية قريبة ولتكن التنازل الطوعي عن جزيرتي تيران وصنافير المصريتين. لم يسجل التاريخ أن مسؤولي دولة، بدابة بالرئيس والقيادات التنفيذية وخبراء القانون الدولي والشيخ أحمد كريمة وصولاً إلى البرلمان، تنازوا بالخرائط والوثائق والفتاوى وإشباح الأدلة والقرائن الواهية، لإثبات مزاعم بحقوق ملكية دولة أخرى لأرض يسوسها العلم الوطني، ويرفع فيها اسمه. لم يخل ذلك الإحاح الجنوني من عبث يستدعي السؤال عن كيفية إتاحة وثائق، بعضها سري للغاية، لدعم موقف تفاوضي لدولة أخرى، في توسل أقرب إلى تسول؛ لكي تتكرم الدولة الأخرى بقبول الجزيرتين.

صراع الطهر والفساد إذا أطبق على الدم الحار

تكافحه من الأساس، وأن تنأى بنفسها عنه، كما ينأى المظلوم عن ظالمه. ولأنه مشروع للهزيمة المتكررة حيال إسرائيل، يهين ويسخر من الدم الحار.

القدس يمكن أن يثبوت بفساد أي تكوينات ولا مصالح أي فئة أو مجموعة بشر من ذوي المصالح الخاصة تقرزهم تلك الدولة.

معضلة الفلسطينيين، معضلة. فهم حتى وإن راوا الفساد، ما كانوا يجيروا على تحدي التحدي. ليس أمام العالم، على أي حال، خوفاً على طهر قضيتهم من أن يتلوث بمجالات. حتى ليقول قائلهم: مش ناقصين بلاوي. ولكنهم يدفعون الثمن أيضاً. فهناك فساد، وهو كثير إلى درجة تقرب من حد الفضيحة. جانب كبير من مآنة القضية الفلسطينية يتصل بطهرها. وجه القدسيتها لا يقتصر على أنها قضية أرض مقدسة، وإنما رجالها ونساؤها الطهر الذين قدموا من أجلها أرواحهم رخيصة على طول الخط.

علاء الصراف
كاتب عراقي

لا أحد يستطيع أن ينكر على الرئيس الفلسطيني محمود عباس شجاعته، إنه شجاع في الحق، وشجاع في الباطل أيضاً. شجاعته في الحق واضحة لكل من يعرف موقفه الصلب من حقوق شعبه الوطنية. صحيح، أنها حقوق الحد الأدنى، كما يقال، إلا أنها هي الصخرة الأخيرة التي يريد أن يعرج منها كواحد من آخر بقايا الرموز الوطنية الكبرى. رموز الرعيل الأول. أو رعيل كل التقلبات التي عرفتها القضية الفلسطينية. تستطيع أن تجادل في خياراته، ولكنك لا تستطيع أن تجادل في أن هذه الخيارات هي كل ما بقي في معادلة الممكن، وأنها قاسم مشترك عريض، وسواء أمن بإمكانية تحقيقها بالفعل أم لا، فإنه يمسك بها بكل ما أوتي من قوة، ويقف حيالها وقفة رجل شجاع، مستعد لمواجهة كل العواصف التي تحيط به. حتى أنه تمسك بالمغامرة عندما قام بطرد الولايات المتحدة، بجبروتها كله، من معادلة السلام. ورفض حتى أن يتلقى مكالمات من أي مسؤول أميركي، بمن فيهم الرئيس دونالد ترام ونائبه ووزير خارجيته، ليكتشف عن أن للحق قوة من نفسه، وأنه حتى وإن لم يكن يملك دبابات ولا صواريخ ولا طائرات ولا أموالاً، فإنه قادر على أن يقول للقوة العظمية في العالم، لا، وأن يهددها بالسقوط على الحواشي، وأن يظهر لها أنها، كما كل قوة عطرسة أخرى في التاريخ، يمكن أن تسقط بتمررد الهامس على المركز. إلا أنه شجاع في الباطل أيضاً. أمام شهود من كل أرجاء العالم، خاطب الرئيس عباس الدول الأعضاء في مجلس الأمن في 11 فبراير الماضي، ليقول لهم إنه يتحدى الجميع بأن يعثر أحد على أي مظهر من مظاهر الفساد في دولة. لم يتحدا. ربما لسبب أو لعله، ولكن لشعبه لم يفتعن.

المشروع الإماراتي في مواجهة الإحباط

الناس هم من يرون أن أي محاولة إماراتية تعتبر فشلاً لهم لذلك يبغون سومتهم.

محمد خلفان الصوافي
كاتب إماراتي

تقوم دولة الإمارات، بمشاركة المجتمعات الأخرى، على صنع خدمة للإنسانية، ولا يبلغ في الحول، حتى إن رأى البعض ذلك، أن مبادراتها تواكب الطموحات العظيمة، التي قد ينتقدها ويهاجمها، ولكن كثيراً ما يفتاحنا عندما يجدها على أرض الواقع، وقد أجمعت على نجاحها دول العالم، بوصفها أحد أساسيات تقدم الحضارات. مبادرات الإمارات اليوم، تاخذ شكل المنافسة مع الولايات المتحدة والصين وروسيا، والجعب يتحدث، غرباً وشرقاً، عن دولة عربية تساهم في تقدم الأمم، وتحفز الآخرين في منطقتهم للمشاركة في هذه الأفكار.

ترتكز هذه المقالة على حالة الجدل "البيزنطي" حول مبادرات دولة الإمارات التي يثيرها البعض في وسائل التواصل الاجتماعي، طرحين تساؤلات لا تختلف عن تساؤلات فلاسفة بيزنطة؛ بينما كان هناك من يعمل ومخططات تهدف إمبراطوريتهم، كانوا مشغولين بأشياء أخرى ليغفروا بأن الآخرين سيطروا على مدينتهم. والجدل الذي يثار اليوم حول المبادرات الإماراتية، لن يكون له أي تأثير سلبي، بل هو حافز على استكمال ما تخطط له قيادتها.

تعزز دولة الإمارات أن مشروعاتها تستهدف نقل الشعوب العربية من حالة الإحباط والياس، إلى مشاركة شعوب العالم التنافس من أجل بناء المستقبل، باعتبارها لا تقل عن باقي شعوب العالم المتقدم بشيء سوى الطموح والمحاولة. أنكر في إحدى محاضرات العالم المصري الراحل الحاصل على جائزة نوبل أحمد زويل، التي كان يلقيناها كل يوم أربعاء ونقلها قناة "النيل الثقافية" ردا على سؤال لأحد الحاضرين حول الفرق بين العرب وبيننا، أن المجتمعات الغربية "تاخذ" بيد الإنسان كي ينجح، أي أنها تثبت فيه الروح الإيجابية وتتبعه، في حين أن مجتمعاتنا "تكسر" من يحاول التقدم بالتدريج والسلبية. اعتقد أن هذه النوعية من

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
أسسها 1977
أحمد الصالحين العهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي
رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي
مدير النشر
علي قاسم
المدير الفني
سعيدة العيوقوي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

القديس يحسن ألا يتلوث بفساد أي تكوينات ولا مصالح أي فئة أو مجموعة بشر من ذوي المصالح الخاصة تقرزهم تلك الدولة. "النورة" لم تنته بعد. إذا شئت أن تأخذ بهذا النوع من الكلام، لأن القضية ما تزال في أول الطريق، ودماء التضحيات ما تزال حارة، والجرح ما يزال غائراً في الأرض وفي النفوس. وأخر ما تحتاجه قضية في هذا الوضع هو أن تنشأ على أطرافها أو في مركزها كائنات فساد. ما من أحد يمكنه أن يجني من ذلك شيئاً، حتى الفاسدون أنفسهم. ففي وضع متفجر كالذي يعيش فيه الفلسطينيون، لا شيء يمكنه أن يظل راسخاً، بما في ذلك المصالح والامتيازات، كل شيء يمكن أن يضع في صهوة أخرى من صعوات الزمن. الفساد بهذا المعنى، لا قيمة فيه، ليس لأنه يمكن أن يضع بآول انفجار، بل لأنه يضع صاحبه على حافة الشبهات دائماً، وهذا كثير في بيئة ملتهمّة.

السلطات الفلسطينية تعتقل الآن عدداً من الناشطين الذي يطالبون بمكافحة الفساد. ومنعتهم من التجمع في رام الله. واندفع بعضهم ليستخدم السلاح نفسه الذي يستخدمه المعتقلون الفلسطينيون لدى سلطات الاحتلال الإسرائيلي: الإضراب عن الطعام. مفهومه الذريعة طبعاً. فإجهزة السلطة، لا بد وأن تكون اقتعت نفسها، بأن أي حراك شعبي ضدها، هو حراك لا يخدم "القضية". من دون أن تسأل نفسها، "أي قضية، على وجه الحقيقة" السلطة التي تحمي الفساد، لا يمكنها أن تدافع عن أي قضية. وعندما يتحول إلى جدول أعمال، ويهيمن على مشاغل أهل المصالح، فللقضاة الفلسطينيين الحق بأن يقرأوا على "القضية" السلام. الشجاعة نفسها كانت تتطلب تشكيل لجنة تحقيق وطنية في قضايا الفساد. وليس اعتقال الذين يطالبون بمكافحته. قضية بُنيت على قدسية وطهر، لا تخدها حتى وجود شبهات باي نمط من أنماط الفساد. فما بالك وقد أصبحت فضيحة؟ فما بالك وقد أصبحت عارا تستخدمه إسرائيل لتشويه الحقوق الفلسطينية وتشويه المدافعين عنها؟ الكيان الفلسطيني التجريبي لن تقوم له قائمة إذا ما ألغاه أهل المصالح والامتيازات في مستنقع الفساد.

الصراع نفسه بين الطهر والفساد، صراع زائد عن الحاجة. الفساد الذي يقصد جني المال، ليس هو القضية. ولا يصح أن يكون شغلاً من مشاغل السلطة الفلسطينية، لأنه وجه آخر للعدو الذي كان يجدر بها أن

معضلة الفلسطينيين، معضلة. فهم حتى وإن راوا الفساد، ما كانوا يجيروا على تحدي التحدي. ليس أمام العالم، على أي حال، خوفاً على طهر قضيتهم من أن يتلوث بمجالات. حتى ليقول قائلهم: مش ناقصين بلاوي. ولكنهم يدفعون الثمن أيضاً. فهناك فساد، وهو كثير إلى درجة تقرب من حد الفضيحة. جانب كبير من مآنة القضية الفلسطينية يتصل بطهرها. وجه القدسيتها لا يقتصر على أنها قضية أرض مقدسة، وإنما رجالها ونساؤها الطهر الذين قدموا من أجلها أرواحهم رخيصة على طول الخط. المنافع، المصالح والامتيازات، لم تظهر إلا مع ظهور "الدولة" أو مشروع الدولة الفلسطينية في بعض الأراضي المحتلة. وكانت تلك صناعة قائمة بذاتها، قصت أن تجعل تلك الدولة "طبيعية" تغريها من الدول التي يمكن أن تتباع وتشتري ويكون فيها مسؤولون فاسدون يمكن التحكم فيهم.

هذه الدولة "الطبيعية" هي القائمة الآن. وهي التي يُنكر الرئيس عباس أن فيها فساداً. سوى أن شعبه يراه، ويدفع ثمنه.

عيب على أي أحد، أن يربط ما بين الرئيس عباس وبين أي مظهر من مظاهر الفساد. ولكن عيب على مستشاريه أن يجعلوه بعيداً عن رؤية الصورة على حقيقتها، بينما يستطيع كل عبد فقير لله أن يسير له ولهم من الأدلة والشهادات والوقائع ما يكفي لكي يزكم الألف.

هناك مصالح، وهناك امتيازات، وهناك سوق لهذا الشيء وذلك، وتأتي معه ارتباطات، لا طهر فيها على الإطلاق.

يبدو الأمر "طبيعياً" كما هو الحال في كل مجتمع، وكما في كل دولة تفكر في مؤسسات راسخة وسلطة قانون متينة، وما يزال الكثير من بناياتها تجريبياً. ولكن الحقيقة هي أن القضية الفلسطينية لا تصلح، بسبب من طبيعتها بالذات، أن تكون "طبيعية" على هذا النحو. هناك دولة، تجريبية ومؤقتة، ولكن هناك قضية. يفتن.

